ترجمة الشيخ حسين بن غنام[1]

هو الشيخ حسين بن أبي بكر بن حسين بن عبدالوهاب آل غنام، من قبيلة بني تميم، كان نجديَّ الأصل، ولكنه من سكان الأحساء.

وُلد في بلدة المبرّز عام ١١٥٢هـ، وهي من ضواحي الهفوف، وتقع عنها بنحو ثلاثة أكيال، والآن اتصلت إحداهما بالأخرى.

نشأ في الأحساء، وأخذ في صباه مبادئ القراءة والكتابة، ولما شب شرع في القراءة على علماء الأحساء من آل مبارك وآل عبدالقادر وغيرهم، وكان الغالب في الأحساء شيوع مذهب الإمام مالك في الفقه، فدرس كتب المالكية في الفروع، فصار مالكي المذهب[2].

ودرس علوم اللغة العربية من النحو الصرف والبلاغة والمفردات اللغوية حتى أحاط بأغلبها؛ كما أن له هواية بدراسة الأدب العربي، نظمه ونثره، فقرأ أمهات كتب الأدب، وصار له الأسلوب العربي الجيد، والمملكة القوية، كما أجاد قول الشعر، فقال القصائد الجياد.

ولما قام الشيخ محمد بن عبدالوهاب بدعوته، واتسعت بعد رحيله إلى الدرعية انتقل المترجَم إلى الدرعية، واتصل بالشيخ محمد بن عبدالوهاب، ودرس عليه، كما درس على أبنائه وكبار تلاميذه، فشرب الدعوة وغرست بقلبه،

(١) نقلًا عن «علماء نجد من خلال ثمانية قرون»؛ للشيخ عبدالله البسام رحمه الله، (٢ / ٥٦-٥٨) بتصرف يسير وإضافات، ولابن غنام ترجمة في: «مشاهير علماء نجد» (ص ١٨٥-٢٠١)، و«الأعلام» (٢ / ٢٥١)، و«روضة الناظرين» (١ / ٧٨ - ٧٩)، و«تحفة المستفيد» (٢ / ٢٤١)، و«من أعلام مدينة المبرز»؛ لعبد الله الذرمان (ص٥٥ - ٦٧).

(٢) انظر: تعليق الدكتور عبدالرحمن العثيمين على «السحب الوابلة» (١/ ٣٧٢).

فصار من كبار المدافعين عنها، والذائدين عن حياضها.

وقد جلس في الدرعية للتدريس، فأخذ عنه عدد من كبار العلماء، واستفادوا منه في العلوم العربية خاصة، فكان من تلاميذه:

١- الشيخ حمد بن ناصر بن معمر.

٢- ابنه الشيخ عبدالعزيز بن حمد بن ناصر بن معمر.

٣- الشيخ المحدِّث سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب.

٤- الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب. وغيرهم من شباب الدعوة الإسلامية في ذلك الوقت رحمهم الله.

مؤلفاته:

١- تاريخه، المسمى «روضة الأفكار والأفهام، لمرتاد حال الإمام، وتعداد غزوات ذوي الإسلام»، طُبع عدة طبعات، وهو كتاب تاريخ للدعوة السلفية، جمع فيه رسائل الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وذكر فيه غزوات أئمة آل سعود في دولتهم الأولى، كما جمع فيه رسائل الشيخ محمد إلى علماء عصره، وقد عني في أسلوبه باستعمال المحسنات البديعية من السجع والجناس والتورية وغيرها من محسنات اللفظ، إلا أن في ذلك تكلفًا ربما ضاع معه المعنى.

٢- العقد الثمين في شرح أصول الدين، قال في مقدمته[(١)] - بعد الحديث عن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله، وانتصار آل سعود لها -: «فعنّ لعبدالعزيز - حفظه الله - أن تُجمع الأحاديث التي هي أصول الإسلام

---

(١) (ص ٢٧)، بتحقيق الشيخ محمد الهبدان، عام ١٤٢٣هـ، وقد حُقق الكتاب عام ١٤٠٣هـ رسالةً جامعيةً؛ ثم طبع عام ١٤١٤هـ في قطر.

والإيمان، ويُضم إليها ما يناسبها من آيات القرآن، وجاءت الإشارة إليّ بشرحها، والكلام على ما تحتاج إليه من البيان، مع الإيجاز الذي لا يُخل بالتبيان؛ لتسهيل الدين الذي لا يُقبل سواه من كل إنسان.. إلخ». وقد جاء الكتاب في سبعة فصول وخاتمة؛ كالتالي: «الفصل الأول: فيما جاء في الإسلام، وأنه دين الله الذي لا يقبل سواه، الفصل الثاني: في تفسير النبي ﷺ الإسلام والإيمان والإحسان، وتسمية كلٍ منهما دينًا، الفصل الثالث: في إخلاص الأعمال لله، وذلك لايكون إلا بالنية، وماجاء أن الأعمال بالنيات، الفصل الرابع: في دعائم الإسلام التي يتم له بها النظام، ويكفر جاحدها أو بعضها من الأنام، الفصل الخامس: في تعين قبول شرعه المطهر ﷺ، ولزوم العمل بهديه الأنور، وإلغاء مخالفة ضده، وإبطال العمل ورده، الفصل السادس: في أمره ﷺ عند الاختلاف بالتمسك بسنته وسنة خلفائه الراشدين، التي هي منهاج النجاة والهداية، وتحذيره من ارتكاب البدع، التي هي سبيل الضلالة والغواية»، الفصل السابع: في الأمر بالاعتصام بكتاب الله المبين، والتمسك بحبله المتين، وذم الافتراق في الدين، وإخبار الرسول الأمين ﷺ بافتراق أمته المجيبين، على ثلاث وسبعين، وأنها كلها في النار مع المكذبين، إلا من كان على سنته وسنة أصحابه المهتدين ﷺ ورضي عنهم أجمعين، وحشرنا في زمرتهم يوم الدين، الخاتمة: في الفرق الناجية من النيران، وهم أهل الإسلام والإيمان، الذين تمسكوا بسنة نبيهم واعتصموا بالقرآن؛ فنالوا بذلك رفيع الدرجات في الجنان»، وقال في الخاتمة: «وكان الفراغ من جمع هذه الدُرر، وتسطير هذه الغُرر، في رابع يوم من صفر، عام ١٢١٦هـ..».

قلت: وهو كتاب مفيد مختصر، نقل فيه كلام المفسرين والعلماء على الآيات والأحاديث المتعلقة بالفصول السابقة. ويحسن التنبيه هنا على خطأ وقع منه -

غفر الله له - عند الحديث عن صفة الكلام لله ﷻ؛ حيث قال[١]: «وقوله: (كتبه)؛ أي أنها منزلة من عنده، وأنها كلامه القائم بذاته، المُنزه عن الحروف والصوت». وقد تعقبه الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله بقوله: «قوله: وأنها كلامه القائم بذاته، المنزه عن الحروف والصوت، هذا الكلام جرى على مذهب الكُلابية، ومن تبعهم من الأشعرية، أن الكلام، هو: المعنى القائم بالذات، المنزه عن الحرف والصوت؛ فعلى هذا يكون عندهم ليس هو عين كلام الله؛ لأنه حروف وأصوات، وإنما هو عبارة عن كلام الله، كما قد صرحوا بذلك في كتبهم.

والحق في ذلك هو ما دل عليه الكتاب، والسنة، والإجماع: أن الله تعالى لم يزل متكلمًا كيف شاء إذا شاء، بحرف وصوت، كما دل على ذلك القرآن، والأحاديث؛ فأما: القرآن، فواضح؛ وأما الأحاديث، ففي صحيح البخاري وغيره: «**إن الله تعالى ينادي آدم يوم القيامة بصوت**»، وهذا نص، وفيه نحو أربعة عشر حديثًا؛ وأما: الإجماع، فيكفي في ذلك أنه لا يُعرف عن صحابي، ولا تابعي، حرفٌ واحد يُخالف ذلك، وقد أفرد العلماء هذه المسألة بالتصنيف[٢]، والله أعلم»[٣].

---

(١) المرجع السابق، (ص ٤٧). وأظنه وقع في هذا الخطأ بسبب دراسته لعقيدة «الأشاعرة» في بداية تلقيه العلم على يد بعض علماء الأحساء، ممن كانوا يعتنقون هذه العقيدة «البدعية»، وهذا يُبين للمسلم أهمية تلقي الناشئة العلمَ في صغرهم على أيدي الموثوقين في عقيدتهم؛ لئلا تبقى معهم علائق من عقائد أهل البدع.

(٢) تُنظر للتوسع: رسالة «العقيدة السلفية في كلام رب البرية»؛ لعبدالله الجديع.

(٣) الدرر السنية، (١ / ٣١٨). ونُسب هذا التعليق في هامش (ص ٤٧) من «العقد الثمين» للشيخ عبدالله أبابطين رحمه الله، فلعله خطأ، أو أن الشيخ نقل نص تعليق الشيخ سليمان.

وعلّق تلميذه الشيخ عبدالرحمن بن حسن ﷺ على هذا الموضع - أيضًا - بقوله[١]: «وقوله: وكتبه، أي: أنها منزَّلة من عنده، وأنها كلامه القديم[٢]: اعلم أن مذهب أهل السنة والجماعة أن الله تعالى يتكلم إذا شاء، وقوله «وأنها كلامه القديم»، هذا قول الكرامية، وأهل السنة لا يقولون هذا، بل يقولون: إنها وحيه أوحاه إلى جبريل، وسمع كلام الرب تعالى، وبلّغه رسله، وكتب تعالى التوراة بيده. .» إلخ.

٣- لو جُمعت قصائده لجاءت ديونًا متوسطًا، فإن له القصائد الجياد[٣]، ومنها مرثيته بالشيخ محمد بن عبدالوهاب[٤]، التي مطلعها:

إلى الله في كشف الشدائد نفزع ... وليس إلى غير المهيمن مفزع

وهي قصيدة جيدة مؤثرة بأسلوبها ومعانيها.

---

(١) الدرر السنية، (٣ / ٢٢٧).

(٢) هكذا. والذي في «العقد الثمين» - كما سبق -: «وأنها كلامه القائم بذاته». والمؤدى واحد؛ وهو أن الله لا يتكلم إذا شاء.

(٣) وقد ذكر له صاحب «نفحات من عسير» (ص ٦٦ - ٧٠) قصيدة أجاب بها عن قصيدة لمحمد بن أحمد الحفظي بعثها للإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود. وجاء فيها:

إمام الهدى عبدالعزيز وقبله ... أبوه فنالوا رفعة الشأن والقدْر

وهذا مما يؤكد أن ابن غنام قد انتقل إلى الدرعية زمن الإمام عبدالعزيز.

وذكر صاحب «نفحات من عسير» قصيدة أخرى (ص ٨١ - ٨٤) قال في مطلعها: «عندما وصلت القصيدة - أي قصيدة الحفظي - إلى الإمام سعود الكبير، وكان أحد تلامذة الشيخ ابن غنام: المدعو عبدالله الغاشمي موجودًا هناك، فاستأذن الإمام في الإجابة عليها، فكتب هذه القصيدة. .»، وجاء فيها عن ابن غنام:

حُسينًا عليه الحُسن بان رواقه فلا ... زال في الأحسا جمالًا لأهليها

وهذا يؤكد أن الشيخ ابن غنام أثناء إقامته بالدرعية، كان يتردد على موطنه الأول «الأحساء».

(٤) ستأتي كاملة في تاريخه - إن شاء الله -.

والقصيدة الأخرى في مدح الشيخ عبدالله بن أحمد آل عبدالقادر[١]، ومنها:

ولو خُيرتْ نُهد المكارم في فتى لكان لعبدالله يبدو اختيارها

همامٌ علا هام السّماكين فخرُه ورئيته فوق الثريا قرارها

وفاته: قال ابن بشر في «عنوان المجد»[٢]: «وفي شهر ذي الحجة من هذه السنة - **١٢٢٥هـ** -، توفي الشيخ العلامة الحبر الفهّامة، حسين بن غنام الأحسائي، كانت له اليد الطولى في العلم وفنونه، وله معرفة في الشعر والنثر، وصنف مصنفات..». رحمه الله تعالى.

قال الشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ رحمه الله[٣]: «ولم يذكر الرواة له عقبًا، وله أبناء عم لا يزال لهم ذكرُ بقية بالأحساء».

ثناء العلماء عليه: قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله عنه: «العلامة أبو بكر ابن غنام، فريد وقته بعلم المعقول والمنقول، والشعر والإنشاد، في صدر القرن الثالث عشر»[٤]، وقال ابن بشر: «كانت له اليد الطولى في معرفة العلم وفنونه، وله معرفة في الشعر والنثر»[٥]، وقال ابن عبدالقادر: «له اليد الطولى في علوم العربية»[٦].

❑ ❑ ❑

---

(١) تحفة المستفيد (٢/ ٥٧٥ - ٥٧٦).
(٢) (١/ ١٥١).
(٣) «مشاهير علماء نجد»، (ص ٢٠١).
(٤) الدرر السنية (١١/ ٤٨٧).
(٥) عنوان المجد (١/ ١٥١).
(٦) تحفة المستفيد (٢/ ٦٣١).